

الدلالات التربوية لملامح الإعجاز العلمي في السنة النبوية
(أحاديث الغضب أنموذجاً)

Educational indication of
the features of scientific miracle in sunnah
“Words of anger as a model”

Dr. Saleh Bin Ali Abu Araad*

د. صالح بن علي أبو عرّاد*

Abstract

This research aims at knowing educational indications of the feature of scientific miracle in prophet sunnah “ Words of anger as a model” through answering the following questions:

- 1- What is the concept of scientific miracle in the prophet Sunnah?
- 2- What is the concept of anger? What are its reason? What are its negative effects?
- 3- What are the prophet's words that handle the subject of anger?
- 4- What are the features and aspects of scientific miracle in the words of anger?
- 5- What are the most distinguished educational indications of the features of miracle in the words of anger?

The researcher used analytical descriptive curriculum of the content of prophetic words which number was 12 ones. Beside concluding educational indications of the feature of miracle in them..

The study concluded that the most distinguished scientific miracle in these words represented in: miracle scientific and cognitive lead for these words, behavioral educational miracle of its content , aesthetic educational miracle , preventive scientific miracle , treatment scientific miracle , news scientific miracle, and the scientific miracle represented in the numirity of noble prophetic directions taught to by the prophet to avoid anger and treat it.

As about the most distinguished

ملخص

يهدف البحث إلى تعرف الدلالات التربوية لملامح الإعجاز العلمي في السنة النبوية (أحاديث الغضب أنموذجاً) من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية :

١. ما مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية؟
٢. ما مفهوم الغضب وأسبابه؟ وما آثاره السلبية؟
٣. ما الأحاديث النبوية التي تناولت موضوع الغضب؟
٤. ما ملامح وأوجه الإعجاز العلمي في أحاديث الغضب؟
٥. ما أبرز الدلالات التربوية لملامح الإعجاز في أحاديث الغضب؟

وقد استخدم الباحث المنهج (الوصفي التحليلي) لمضامين الأحاديث النبوية التي بلغ عددها (اثنا عشر) حديثاً نبوياً شريفاً، إضافة إلى استنباط الدلالات التربوية لملامح الإعجاز فيها. وقد خلّصت الدراسة إلى أن أبرز ملامح الإعجاز العلمي في هذه الأحاديث تتمثل في: السبق العلمي والمعرفي المعجز لهذه الأحاديث، والإعجاز التربوي والسلوكي لمضامينها، والإعجاز الجمالي، والإعجاز العلمي الوقائي، والإعجاز العلمي العلاجي، والإعجاز العلمي الإخباري، والإعجاز العلمي المتمثل في تنوع التوجيهات النبوية الكريمة التي أرشد إليها النبي ﷺ في الوقاية من الغضب ومعالجته.

أما أبرز الدلالات التربوية لأحاديث الغضب فتتمثل في: أن انفعال الغضب وإن كان فطرياً

* Associate professor of Islamic Education
college of education- King Khalid University

* [البحث الفائز بالمركز الأول في مجال الدراسات الاجتماعية للدورة السابعة والعشرين بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم].
* أستاذ التربية الإسلامية المشارك بكلية التربية في جامعة الملك خالد .

educational indications of the words of anger, they are represented in: the emotion of anger is inherently but it is not obligatory , human can invince his anger and control his emotions by educating himself some procedures as silence, seeking refuge with Allah from Satan the accursed , changing his situation , hurrying up to Ablution and bathing ... etc. All these means helps him not to get carried a way and reduce anger , and avoid its abuses and disadvantage. The research concluded with some related results and recommendations.

مقدمة

إلا أنه ليس لازماً، وأن بإمكان الإنسان أن يقهر غضبه ويتحكم في انفعالاته من خلال تربية النفس على العديد من الإجراءات كالسكوت والتزام الصمت، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وتغيير الوضعية التي يكون الإنسان عليها، والإسراع إلى الوضوء أو الاغتسال، إلى غير ذلك مما يُعينه على عدم الاسترسال في الغضب، والحد منه، وتجنب مضاره ومساوئه. وقد اختتم البحث بعدد من النتائج والتوصيات والمقترحات ذات العلاقة بموضوع البحث.

مقدمة

الإسلام دين معجزٌ كله، فكتاب الله العظيم معجزٌ في لفظه ومعناه، وسوره وآياته، وحروفه وكلماته، وأسلوبه ونظمه، وتراكيبه وحركاته، ورسول الله ﷺ معجزٌ في قوله وعمله وتقاريراته، وسُنَّته الطاهرة معجزةٌ في لفظها ومعناها ودلالاتها.

ويأتي من أوجه الإعجاز العلمي في السنة النبوية المُطَهَّرة تلك الباقية الرائعة من الأحاديث الشريفة التي صحَّت عن النبي ﷺ في مختلف شؤون الحياة ومجالاتها الدينية والدنيوية، والتي يأتي من أبرزها ما جاء في شأن قضية (الغضب) الذي على الرغم من كونه طبعاً فطرياً ينتج عن مجموعة الانفعالات المختلفة عند الكائن الحي؛ إلا أنه غالباً ما يؤدي بصاحبه إلى نوع من الاستجابات الانفعالية الحادة التي قد يُصاحبها بعض الثوران والتوتر، ومن ثم تنعكس آثاره السلبية على الغاضب بصورة يفقد معها القدرة على التحكم في أقواله وأفعاله وتصرفاته المختلفة التي ينتج عنها العديد من التغيرات السلوكية والنفسية، الأمر الذي يجعل من الغضب أحد أكثر المشكلات شيوعاً بين الأفراد والمجتمعات سواءً أكانت في الماضي أم الحاضر.

وانطلاقاً من عناية التربية الإسلامية بدراسة الغضب كظاهرة اجتماعية لها أسبابها

الداعية لحدوثها، والآثار الناجمة عن انتشارها؛ فقد جاءت هذه الدراسة للتعرف على بعض ملامح قضية الإعجاز العلمي في السُّنة النبوية من خلال دراسة وتحليل مضامين عددٍ من الأحاديث النبوية الشريفة ذات العلاقة بموضوع الغضب، واستنباط الدلالات التربوية للملامح الإعجاز فيها كأنموذج يمكن أن تتبلور أبعاده المختلفة ليُكوَّن في مجموعته أبلغ نظرية تربوية عرفت بها البشرية في كيفية التعامل مع الغضب، والحث على تجنب دواعيه وأسبابه، والإرشاد إلى كيفية ضبطه والتحكم فيه، والنصح بكظمه وعدم إنفاذه، وبذلك يمكن للفرد الوقاية منه والعمل على علاجه والقضاء عليه.

مشكلة الدراسة

انطلاقاً من أن "موضوع الإعجاز العلمي في السُّنة الشريفة قد دعت الحاجة إليه، كما دعت إليها أحوال العصر؛ فإن الضرورة تُحتم تناول بعضاً من صور الإعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة التي يحتاج إليها المسلم"^(١). وقد وعت التربية الإسلامية ما في أحاديث النبي ﷺ عن الغضب من إعجاز علمي فسعت إلى تقرير ذلك الإعجاز، والكشف عن دلالاته التربوية ما أمكن لها ذلك.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تعرّف أبرز الدلالات التربوية لبعض ملامح الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية الشريفة ذات العلاقة بموضوع الغضب .

منهج الدراسة

تستخدم الدراسة المنهج (الوصفي التحليلي)، حيث تسعى إلى دراسة وتحليل مقاصد ومضامين مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة في جوانبها الإعجازية المختلفة بشكل عام، والعمل على استنباط الدلالات التربوية لتلك الملامح الإعجازية على وجه الخصوص.

إجراءات الدراسة

تسير إجراءات الدراسة في جانبين رئيسيين هما:

- الجانب النظري للدراسة، وفيه تتم الإجابة عن التساؤلات الثلاثة الأولى من أسئلة الدراسة، وهي: ما مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية؟ ما مفهوم الغضب، أسبابه، آثاره السلبية؟ ما الأحاديث النبوية التي تناولت موضوع الغضب.

- الجانب التطبيقي للدراسة فيتناول الإجابة عن السؤالين الرابع والخامس وهما: ما ملامح وأوجه الإعجاز العلمي في أحاديث الغضب؟ ما أبرز الدلالات التربوية لملامح الإعجاز في أحاديث الغضب .

الجانب النظري

يمكن للباحث الإجابة عن الأسئلة الثلاثة الأولى من مشكلة الدراسة من خلال تناول الباحث للمحاور الآتية :

المحور الأول: مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية

للتعرف إلى مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية يتناول الباحث ذلك من خلال التالي :

ومن ثم تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن الدلالات التربوية لبعض ملامح الإعجاز العلمي في مجموعة من أحاديث النبي ﷺ ذات العلاقة بموضوع الغضب، كأنموذج من صور الإعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وتستطيع الدراسة تحقيق ذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية؟
٢. ما مفهوم الغضب وأسبابه؟ وما آثاره السلبية؟
٣. ما الأحاديث النبوية التي تناولت موضوع الغضب؟
٤. ما ملامح وأوجه الإعجاز العلمي في أحاديث الغضب؟
٥. ما أبرز الدلالات التربوية لملامح الإعجاز في أحاديث الغضب؟

أهمية الدراسة

تعود أهمية الدراسة إلى أنها:

١. تتناول قضية الإعجاز العلمي في السنة النبوية من خلال أحاديث النبي ﷺ ذات العلاقة بموضوع الغضب كأنموذج .
٢. تُبرز الدلالات التربوية في السنة النبوية، خاصة ما يتعلق بالإعجاز العلمي في أقواله صلى الله عليه وسلم كأنموذج .
٣. تجمع بين الأصالة والمعاصرة ؛ فالأصالة لكون البحث يأتي في السنة النبوية، المصدر الثاني لكل من التشريع والتربية الإسلامية. أما المعاصرة فتأتي من حيث الوقوف على ملامح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، والكشف عن الدلالات التربوية لهذا الإعجاز.
٤. تُعد من الدراسات التربوية القليلة التي تتناول الدلالات والمضامين التربوية في السنة النبوية المطهرة، وبخاصة فيما يتعلق بأوجه ولامح الإعجاز العلمي لها.

١. الإعجاز لغةً

ورد في لسان العرب مادة (عجز): "العجزُ نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز، وعجز عجزاً فيهما؛ ورجلٌ عجزٌ: عاجزٌ ... والمعجزة والمعجزة: العجز. قال سيبويه: هو المعجز والمعجز لأنه مصدر ... والمعجزة من العجز: عدم القدرة.. قال الليث: أعجزني فلانٌ إذا عجزتُ عن طلبه وإدراكه .. والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام .." (٢).

ومما سبق يتبين أن الإعجاز مصدر (أعجز)، ويعني عدم القدرة على الإتيان بالشئ. وقد يُقصد بالإعجاز "ما يخرج عن المألوف ويبعث على الإعجاب؛ فيقال (معجزة العلم)، و(معجزة الفن)" (٣).

وللإعجاز في اللغة مشتقات لغوية عديدة، ومعاني متباينة يأتي من أبرزها (المُعجزة) بكسر الجيم، وهي "اسم فاعل من الإعجاز، والإعجاز مصدرٌ للفعل (أعجز)" (٣).

٢. الإعجاز اصطلاحاً

أما في المعنى الاصطلاحي فيُقصد بالمُعجزة: "أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرونٌ بالتحدي، سالمٌ عن المعارضة" (٥). والمقصود بالمُعجزة: "ما أعجز به الخصم عند التحدي" (٣).

ثانياً: تعريف السنة النبوية لغةً واصطلاحاً

١. السنة لغةً

يُقصد بالسنة في اللغة: "الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية" (٦) ويُقصد بها: "الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلانٌ من أهل السنة؛ معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة" (٢).

٢. السنة اصطلاحاً

يُقصد بالسنة النبوية في الاصطلاح: "الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراضٍ ولا وجوب" (٦).

وجاء في تعريف السنة الاصطلاحي "وإذا أطلقت في الشرع فإنما يُراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، ونُدب إليه قولاً وفعلًا مما لم ينطق به الكتاب العزيز" (٧).

وتُعرف السنة عند أهل الحديث بأنها: "كل ما أثر (أو روي، أو صحَّ، إلخ) عن رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو وصفٍ أو إقرارٍ سواء كان قبل البعثة أو بعدها" (٧).

كما أن المقصود بالسنة في اصطلاح الأصوليين "ما نُقل عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير" (٨).

ثالثاً: مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة

جاء مفهوم الإعجاز العلمي بوصفه مصطلحاً مركباً من طرفين هما: (الإعجاز) و(العلمي)، ويُقصد به: "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، وهو من باب من أبواب الإعجاز الغيبي" (٩).

كما أنه قد يُقصد بمفهوم الإعجاز العلمي: "تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تُفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين" (١٠).

ويخلُص الباحث إلى أن مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية يتمثل في ما أخبر به السنة النبوية من الحقائق العلمية والمعرفية ذات العلاقة بمختلف جوانب الحياة المادية والمعنوية سواء أكان ذلك الإخبار بصورة مباشرة أم غير مباشرة.

المحور الثاني: المقصود بالغضب، أسبابه، آثاره السلبية

يتناول الباحث المقصود من الغضب من

خلال تعريفه - لغةً واصطلاحاً - والتعرف إلى الأسباب المؤدية على حدوثه، ثم بيان الآثار السلبية للغضب على الفرد والمجتمع. أولاً: مفهوم الغضب لغةً واصطلاحاً

١. الغضب في اللغة

الغضب في اللغة: "نقيض الرضا. وقد غضب عليه غضباً ومغضباً .. وغضب له: غضب على غيره من أجله .. قال ابن عرفة: الغضب من المخلوقين شيءٌ يُدْخِلُ قلوبهم، ومنه محمود ومذموم، فالمدحوم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق؛ وأما غضب الله فهو إنكاره على من عصاه، فيُعاقبه .." (٢)

وقد أشارت المعاجم اللغوية إلى أن من المعاني اللغوية للغضب ما يلي: "الغضب: الثور، والأسد" (١١)

وقد علّق على هذا المعنى أحد الباحثين المختصين بقوله: "وإذا عدنا إلى الاشتقاق اللغوي نجد أن "الغضب" بالتسكين يُطلق على الأسد والثور، مما يُشير إلى التصاق هذا الانفعال بتلك المخلوقات القوية أو المتوحشة" (١٢)

٢. الغضب في الاصطلاح

على الرغم من شيوع مصطلح (الغضب Anger) وكونه معروفاً منذ القدم إلا أن الملاحظ أنه ليس هناك اتفاق على تعريف مُحدد له بين المهتمين في مختلف المجالات والميادين المعرفية، وهو ما سنعرض له فيما يلي:

يُعرّفه الجرجاني بقوله: "الغضب: تغيرٌ يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر" (٦)

ويرى (العيني) أن: الغضب مطبوعٌ في الإنسان لا يمكن إخراجه من جبلته" (١٣)

وقد يُقصد بالغضب في الاصطلاح "ثورانٌ في النفس يحملها على الرغبة في البطش والانتقام" (١٤)

ومن تعريفات الغضب الاصطلاحية أنه:

"انفعالٌ عامٌ يوجد مع الإنسان طفلاً، وصبيّاً، ومُراهقاً، وشابّاً، ورجلاً، وشيخاً" (١٥)

وهنا لا بُد أن نُشير إلى أن هناك تعدد واضح، واختلاف بين وملحوظ في آراء المختصين - ولاسيما في (علم النفس) - حول تعريف (الغضب) وبيان المقصود منه؛ حيث إنهم يعدونه أحد الانفعالات الرئيسة عند الكائن الحي، والتي لا يُمكن تعريفها بدقة، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: "يُعد الغضب أحد الانفعالات الأساسية للإنسان والكائن الحي عموماً، ورغم كثرة تناوله في مجال علم النفس؛ إلا أن هذا المفهوم ظل لفترة طويلة يعتريه الغموض والخلط بينه وبين المفاهيم الأخرى المرتبطة به" (١٦)

وعلى الرغم من ذلك الاختلاف، فإنه يمكن القول بأن المختصين في علم النفس يُعدون الغضب - على وجه العموم - إحدى الحالات الانفعالية الوجدانية التي يمكن أن تكون سلبية، ويمكن أن تكون إيجابية. وعلى هذا الأساس فإنه يمكن القول إن المقصود بالغضب يمكن أن يتمثل في كونه "حالة شعورية يُصاحبها نشاطٌ جسميٌ وفسيولوجيٌ مُميز" (١٦)

وقد يُعرّف الغضب بأنه: "انفعال يصدر عن الفرد حين التعرض إلى مواقف وأحداث مُعينة يتعرض فيها لإهانة أو لوماً من شأنه أن يحط من قدره، وله ردود فعل فسيولوجية وأخرى جسمية" (١٧)

وهناك من يرى أن الغضب كحالة انفعالية يمكن أن يُعرّف بأنه: "حالةٌ جسميةٌ نفسيةٌ تائّرة، أي يضطرب لها الإنسان كُله جسماً ونفساً. أو بأنه حالةٌ من الهياج العام تُفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه، ولها القدرة على حفزه على النشاط" (١٨)

ومما سبق يمكن الخلوّص إلى أن "الغضب من المفاهيم الصعبة التي لا يمكن تعريفها لأنه

يرتبط بالعديد من المصطلحات والمفاهيم مثل: العدائية والعدوان والعنف".^(١٦)

إلا أن المعنى الذي يمكن الخلوص إليه يتمثل - من وجهة نظر الباحث - في كون الغضب انفعاليًا سلبيًا، وطبيع فطريًا عند الكائن الحي، يؤدي بصاحبه - في الغالب - إلى حالة من التوتر، والاضطراب، والثوران، والسخط، والرغبة في الانتقام، وعدم القدرة على التحكم في الأقوال والأفعال.

ثانيًا: أسباب الغضب

مما لا شك فيه أن الغضب يعد أمرًا طارئًا في حياة الإنسان ولاسيما أن "الأصل في حياتنا الهدوء والاستقرار، وكذا أسباب الغضب أمور طارئة تعترض حياة الناس، وتعترض الأنس والأمن الذي يشعرون به مع أنفسهم ومع من حولهم".^(١٧)

وانطلاقًا من ذلك فإن هناك العديد من الأسباب المختلفة التي تعمل منفردة أو مجتمعة وبدرجات متفاوتة على استثارة الغضب عند الإنسان، وقد اختلف في تحديد دواعيها وأسبابها تبعًا لاختلاف الرؤى والتوجهات والتخصصات؛ فقد ألمح إليها أحد علماء الإسلام المتقدمين بقوله:

"والأسباب المهيجة للغضب هي: الزهو، والعجب، والمزاح، والهزل، والهزاء، والتعير، والمُماراة، والمُضادة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعًا، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب؛ فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها". ويضيف قوله: "ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة، ورجولية، وعزة نفس، وكبر همة. وتلقبه [أي الغضب] بالألقاب المحموده غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه".^(١٨)

كما أن من الأسباب الجالبة للغضب الحيلولة

دون حصول الإنسان على ما يرغب ويحب، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: "يحب الإنسان بعض الأشياء والأعمال؛ فإذا سلبت منه يغضب، وبعض هذه الأشياء ضروري له وبعضها كمالي".^(١٩)

ويأتي من أسباب الغضب ما قد يتعرض إليه الإنسان من أنواع التهديدات المختلفة، حيث "ينشأ الغضب عندما يستشعر المرء أن هناك تهديدًا لكيانه النفسي سواء اتصل ذلك بذاته، أو معتقداته، أو ممتلكاته، أو بيئته، أو غيرها".^(٢٠)

كما أن من أسباب حصول الغضب ما قد يتعرض له الإنسان من الحالات والظروف الحياتية التي تحول دون تحقيق حاجاته ورغباته الضرورية؛ حيث إن "الغضب ينتج من الإحباط، فعندما توجد عوائق تحول دون إشباع الفرد لحاجاته ورغباته يشعر بالغضب".^(٢١)

ومن أسباب الغضب ما قد يتكرر في مختلف مواقف الحياة اليومية، ومنها:

١. الشعور بالفشل والإحباط الذي يعوق الفرد عن إشباع حاجاته وتحقيق مطالبه.
٢. التعرض للإهانة أو السخرية وما قد يتبع ذلك من الشعور بالظلم وعدم العدل في المعاملة.
٣. أساليب المعاملة الوالدية السلبية كالنبذ والإهمال والقسوة ونحو ذلك من الاتجاهات غير السوية في المعاملة.
٤. الخلافات الأسرية كالخصومات والمشاجرات بين الأبوين ولاسيما أمام الأبناء.
٥. الخبرات والصدمات المؤلمة في حياة الفرد كالأحداث المؤلمة والمصائب والتعرض للمخاطر.
٦. النمذجة الوالدية التي تدفع الأبناء إلى تقليد الآباء في التعبير الغاضب عن مشاعرهم وانفعالاتهم".^(٢٢) [بتصرف].

وهكذا، تتنوع أسباب الغضب وتتعدد وتختلف من حالة إلى أخرى ومن ظرف إلى آخر؛ وما ذلك إلا نتيجة "لاختلاف البيئة، واختلاف العصر، واختلاف التقاليد، واختلاف التربية، واختلاف العقيدة، إلخ".^(٢٣)

ثالثاً، الآثار السلبية للغضب

لغضب كثير من الآثار السلبية والمضار الكبيرة التي تمتد لتشمل جميع جوانب الحياة سواء أكانت فردية، أو اجتماعية، أو جسمية، أو نفسية، أو فكرية، والتي تؤكد جميعها أن الغضب مفتاح الشرور؛ لأنه يجمع الشر كله، وهو ما أكدّه أحد علماء السلف بقوله: "إن الغضب جماع الشر، وإن التحرز (التوقي) منه جماع الخير".^(٢٤)

وقد أشار أحد الباحثين إلى تنوع آثار الغضب وتعددتها بقوله: "إن الغضب اضطرابٌ شديدٌ يشمل الفرد في موقف من المواقف، ويؤدي إلى مجموعة من المظاهر أو الأعراض منها: آثار فسيولوجية داخلية، وآثار بدنية خارجية، وآثار معرفية، وآثار وجدانية".^(٢٥)

وفيما يلي عرض لبعض مضار الغضب وآثاره السلبية التي سيتم التطرق إليها فيما يلي:

١. الآثار السلبية الفردية

يتعرض الإنسان إلى العديد من المضار والآثار السلبية جراء انسياقه خلف انفعال الغضب وما يترتب عليه من توتر وانزعاج وغيظ وهياج، الأمر الذي يترتب عليه - في الغالب - أن يفقد الغاضب صوابه بصورة لا يتمكن معها من التحكم في تصرفاته وأقواله، فيندفع إلى الصراخ، والتهديد، والوعيد، وربما التخطيط، ومحاولة الانتقام ممن أغضبه، وينطلق لسانه بكيل السباب والشتائم، وربما السخرية والاستهزاء، والتلفظ بالألفاظ البذيئة وغير المؤدبة التي قد تُسبب له الحسرة والندامة فيما بعد، والتي قد تُسقطه من أعين الناس وتفقده احترامهم، وإلى

هذا المعنى يُشير أحد الكتاب بقوله:

"الإنسان مخلوقٌ متميزٌ، فيه شيءٌ من الملائكة، وشيءٌ من الشياطين، وشيءٌ من البهائم والوحوش؛ فإذا عصف به الغضب، أوتر أعصابه، وألهب دمه، وشد عضلاته، فلم يعد له أمانةٌ إلا أن يتمكن من خصمه فيعضه بأسنانه، ويُشب فيه أظفاره، ويُطبق على عنقه بأصابعه، فيخنقه خنقاً، ثم يدعسه دعساً، غلبت عليه في هذه الحال الصفة الوحشية، فلم يبق بينه وبين النمر والفهد كبير فرق".^(٢٦)

ويأتي من أبرز آثار الغضب على الإنسان ما قد يقوم به الغاضب حين غضبه من بعض التصرفات الطائشة البعيدة عن الحكمة، والمجانبة للصواب، والتي تنتج - في الغالب - عن ما يتعرض له الإنسان من "التوتر العضلي والعصبي العام، ولذلك كثيراً ما يقوم الإنسان في حالة الغضب بالاعتداء على الغير سواءً باليد أو باللسان".^(٢٧)

وليس هذا فحسب، فإن من أبرز آثار الغضب على الإنسان أنه يدفعه دفعا إلى القيام بالعديد من السلوكيات الخاطئة، والتصرفات السيئة، وربما ارتكاب الجرائم المختلفة سواءً في حق نفسه أو في حق غيره، ولاسيما إذا كان الغضب متكرراً "فالأفراد ذوي الغضب الشديد والمتكرر يحاولون غالباً التعبير عن غضبهم بطرق غير ملائمة مثل: السب، والشتائم، وإصدار التعليقات المؤلمة، وبالتالي يكون هؤلاء الأفراد ذوي الغضب الشديد أقل ميلاً إلى التكيف ومواجهة المواقف والأحداث المؤلمة أو الضاغطة، ويكون لديهم تقدير الذات منخفضاً، ويميلون إلى تعاطي العقاقير والمخدرات".^(٢٨)

٢. الآثار السلبية الاجتماعية

تمتد آثار الغضب ومضاره المختلفة لتتجاوز الإنسان الغاضب وتصل إلى المجتمع بكل من فيه وما فيه من الكائنات والمكونات، ولاسيما أنه

"من الرذائل الخُلقية التي إذا تحكّمت في نفوس الناس وتمكّنت من مجتمعاتهم كان لها أسوأ الأثر في حياتهم، ونتائج بشعة في تمزيق روابط المودة بينهم".^(٢٧)

وترجع خطورة الغضب ومضاره الاجتماعية لكونه السبب الرئيس في إثارة البغضاء والكراهية بين أبناء المجتمع، وزرع الحقد والضغينة في نفوسهم، وهو عامل قوي في قطع الصلات وحصول الفرقة والشتات فيما بينهم؛ إذ إنه "يولّد الحقد في القلوب، وإضرار السوء للناس، وهذا ربما أدى إلى إيذاء المسلمين وهجرهم، ومزيد الشماتة بهم عند المصيبة، وهكذا تنور العداوة والبغضاء بين الأصدقاء، وتقطع الصلة بين الأقرباء، فتفسد الحياة وتنهار المجتمعات".^(٢٨)

وتُشير إحدى الدراسات إلى أن مضار الغضب قد تتجاوز الإنسان الغاضب وتمتد بآثارها السلبية إلى من حوله وما حوله "فالغضب يُعد مشكلة إذا كان يؤدي إلى عرقلة وتعطيل العمل، ويؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية للفرد مع الآخرين، وعلى أداء الفرد وفاعليته؛ فلا شك أن الغضب الشديد والمتكرر الحدوث يؤدي إلى ظهور مشاكل عدة في العلاقات الاجتماعية للفرد مع الآخرين من الزملاء في العمل، ومع أعضاء الأسرة والأصدقاء وغيرهم".^(٢٩)

٣. الآثار السلبية الجسمية

أثبتت الكثير من الدراسات العلمية أن للغضب آثاراً سلبية ومضاراً مختلفة على صحة وسلامة أعضاء الجسم عند الإنسان الغاضب، فقد أشارت إحدى الدراسات العلمية إلى أن من أبرز مظاهر الغضب على الجسم "العرق، الارتعاش، إطباق الفك، الحبو على الركبتين، اضطراب النبض، الصداع، ارتفاع ضغط الدم، احمرار الوجه وحرارته، تثبيت قبضة اليد وبرودتها، اضطراب المعدة، الرغبة في إيذاء الذات وإيذاء

الآخرين، الكلام العالي والخارج، تدمير علاقات الصداقة، التدمير الجسدي للذات والآخرين، والبيئة المحيطة".^(٣٠)

وهناك من يُقسّم هذه المضار والآثار السلبية إلى قسمين أحدهما: المظاهر الداخلية، والآخر المظاهر الخارجية، ويُشير إلى ذلك بقوله: "وتبدو المظاهر الداخلية العضوية في سرعة ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، وسرعة التنفس، واضطراب عمل الجهاز الهضمي الذي قد يبدو في الإمساك الشديد أو الإسهال السريع. وفي تغير المقاومة الكهربائية للجسم، وفي جفاف الفم نتيجة لانقباض الأوعية الدموية المحيطة. وتبدو المظاهر الخارجية في الرعدة الشديدة التي تُصاحب الخوف أو الغضب، وفي الأرق واضطراب النوم .. وقد يستجيب الفرد لانفعالاته استجابة صوتية عامة فيصيح أو يصرخ أو يتأوه، أو ينطق بعبارات تُغوية تدل على ألوان انفعالاته، وتُسفر عن ألمه الشديد".^(٣١)

كما أن للغضب مخاطر كبيرة ومتعددة على صحة الجسم وسلامة أعضائه، ولاسيما القلب، وهو ما أورده أحد الباحثين بقوله: "ثبت علمياً أن الغضب كصورة من صور الانفعال النفسي يؤثر على قلب الشخص الذي يغضب تأثيراً يُماثل تماماً تأثير العدو أو الجري على القلب. وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضه أو نبضاته في الدقيقة الواحدة، فيُضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب، أو التي تخرج منه إلى الأوعية الدموية مع كل واحدة من هذه الانقباضات أو النبضات، وهذا بالتالي يُجهد القلب".^(٣٢)

٤. الآثار السلبية النفسية

للغضب مضارٌ عديدة على الجانب النفسي عند الإنسان الغاضب، وتظهر في العادة على شكل انفعالات مصاحبة، وهو ما أشارت إليه إحدى الدراسات النفسية حيث "تتضمن العلامات

الانفعالية للغضب ظهور مشاعر وانفعالات أخرى تحدث مع الغضب مثل الشعور بالخوف، والشعور بالذنب، وافتقاد الأمن، والشعور بالغيرة والنبيذ".^(١٦)

ومن المؤكد أن الآثار النفسية للغضب تزداد سوءاً عندما يكبت الإنسان غضبه في نفسه ولا يتمكن من التحكم الإيجابي فيه وحسن التعامل معه؛ وهو ما أشارت إليه إحدى الدراسات النفسية التي تؤكد أن "الغضب المكبوت وغير المعبر عنه يميل إلى التراكم، ثم يظهر في شكل انفجار فيما بعد، وإذا استمر الغضب مُتراكمًا ومقموعًا أو مكبوتًا داخل الفرد فقد يؤدي ذلك إلى إصابة الفرد بالاضطرابات السيكوسوماتية".^(١٧)

ويؤكد هذا المعنى أحد أساتذة علم النفس الذي يبين مخاطر الغضب المكبوت على الغاضب بقوله: "والعض على الأنامل من مظاهر الغضب الكامن كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١١٩)؛ فالغيظ بهذا المعنى غضبٌ كامنٌ لعجز الفرد عن التشنفي، وعندما يشتد الغيظ ويسفر عن حقدٍ دفين فإنه يُصبح حُنْفًا، وعندما تهدأ ثورته يتحول إلى سُخْطٍ".^(٢٨)

وليس هذا فحسب، فإن المشاعر الوجدانية للإنسان تتأثر تأثرًا كبيرًا عند حصول الغضب "فينسى الغاضب أو يتناسى كل أنواع المشاعر الإيجابية التي كانت بينه وبين المغضوب [عليه] بسبب حضور المشاعر السلبية واشتغالها في نفس الغاضب، مما يؤدي إلى ظلام النفس وانكماشها، واستدعاء عواطف الكراهية والأسف والشعور بالظلم، وينقطع ويتصدع التواصل بين الغاضب والمغضوب عليه".^(١٩)

٥. الآثار السلبية العقلية والفكرية

هناك الكثير من الآثار والمضار والتأثيرات السيئة التي تؤثر سلباً على الجانب الفكري

والعقلي عند الإنسان، ولا سيما أن "الانفعال عامةً والشديد منه خاصةً يتعارض مع التفكير السليم والسلوك الصحيح، فأقل الناس غضباً أعقلهم، والغضب تحول العقل. وقد يقلب الانفعال - والغضبي منه خاصةً - على الإنسان فيُخرجه عن سياسة العقل والشرع، ولا يبقى للمرء معه بصيرة أو نظرة أو فكرة أو اختيار بل يُصيره صورة المضطر".^(٢٠)

وهذا معناه أن الإنسان الغاضب يكون غير قادر في حالة غضبه وشدة انفعاله على ضبط نفسه أو التحكم في تصرفاته، وربما دعاه ذلك - في الغالب - إلى المواجهة أو الانتقام أو نحو ذلك من الأقوال البذيئة، أو الأفعال المذمومة التي تدل في مجموعها على فساد التفكير وسوء التصرف، وهو ما يشير إليه أحد أساتذة علم النفس عند حديثه عن مظاهر الانفعالات بقوله:

"وتؤثر هذه المظاهر في حالة الفرد العقلية، فالحزن مثلاً يؤدي إلى الاكتئاب وشرود البال وصعوبة تركيز الانتباه، والغضب الشديد يؤدي إلى إعاقه التفكير، واضطراب الوظائف العقلية العليا".^(٢١)

ولأن سلوكيات الإنسان تكون نتيجةً لتفكيره وقدرته على اتخاذ القرار المناسب نحو المواقف المختلفة، فإن الغضب يعد بمثابة العدو للدود للتفكير السليم ولا سيما أنه "يؤثر سلباً على تفكير الفرد وسلوكه، ويظهر آثار ذلك في أنه يمكن أن يُعطّل ويعوق تفكير الفرد وسلوكه، فالغضب عندما يكون في مستوى مرتفع؛ فإنه يشوه عملية الإدراك والتفكير لدى الفرد ويسبب له ردود فعل زائدة دون أن يأخذ الفرد الفرصة في تقويم ما لديه من خيارات، وبالتالي يندفع الفرد ويسلك وفقاً لنزعاته ورغباته، وهذا ما يُشار إليه بأن هؤلاء الأفراد يسلكون دون تفكير".^(١٦)

ومما سبق يمكن الخلوص إلى أن "الانفعال الشديد [والذي عادةً ما يكون الغضب أبرز

مظاهره] يُعطل التفكير، ويُصبح الإنسان غير قادر على التفكير السليم أو إصدار القرارات السليمة، وبذلك يفقد الإنسان أهم وظائفه التي يتميز بها وهي الاتزان العقلي". (٣١).

المحور الثالث: الأحاديث النبوية الواردة في الغضب
يتناول الباحث فيما يلي الأحاديث النبوية الصحيحة التي تحدثت عن موضوع الغضب والتي تُمثل أنموذجاً للإعجاز العلمي في السنة النبوية، كما أنها تُمثل مجالاً لاستنباط الدلالات التربوية منها، وهو الهدف الرئيس لهذه الدراسة، وقد جاءت هذه الأحاديث النبوية على قسمين: الأول: ويتناول الأحاديث النبوية الصحيحة التي نصت صراحةً على موضوع الغضب، بينما يتناول القسم الثاني الأحاديث النبوية الصحيحة التي جاءت ضمنياً في معناها وتناولها لموضوع الغضب.

أولاً: الأحاديث النبوية الصحيحة التي نصت صراحةً على موضوع الغضب

ويشمل هذا القسم تسعة أحاديث نبوية هي:
الحديث الأول: صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي : أوصني، قال: " لا تغضب "، فردَّد مراراً، قال: " لا تغضب ". (البخاري، الحديث رقم ٦١١٦، ص ١٠٦٦).
الحديث الثاني: صحَّ في رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني شيئاً ولا تُكثر عليّ لعلِّي أعياه. قال ﷺ : " لا تغضب "، فردد ذلك مراراً، كل ذلك يقول: " لا تغضب ". (الترمذي، الحديث رقم ٢٠٢٠، ص ٤٥٧).

الحديث الثالث: صحَّ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: قال رسول الله ﷺ : " علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت ". (البخاري في الأدب المفرد، الحديث رقم ٢٤٥، ص ٩٥).

الحديث الرابع: صحَّ عن أبي ذر رضي الله عنه، قول رسول الله ﷺ : " إذا غضب أحدكم

وهو قائمٌ فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع ". (أبو داود، ج ٤، الحديث رقم ٤٧٨٢، ص ٢٤٩).

الحديث الخامس: صحَّ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: " ألا وإن الغضب جمرَةٌ في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيءٍ من ذلك فليصق بالأرض ". (الترمذي، ج ٤، الحديث رقم ٢١٩١، ص ٤٨٣).

الحديث السادس: عن عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ : " إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ". (أبو داود، ج ٤، الحديث رقم ٤٧٨٤، ص ٢٤٩).

الحديث السابع: صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: " ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ". (البخاري، ص ١٠٦٦، الحديث رقم ٦١١٤).

الحديث الثامن: صحَّ عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أنه: سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا يَنْبَغُ دُنِيَ من غضب الله عز وجل؟ قال: " لا تغضب ". (أحمد، ج ٢، الحديث رقم ٦٦٣٥، ص ١٧٥).

الحديث التاسع: صحَّ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يُدخلني الجنة. قال: " لا تغضب ولك الجنة ". (الطبراني، ج ٣، الحديث رقم ٢٣٧٤، ص ٨١).

ثانياً: الأحاديث النبوية الصحيحة الضمنية في معناها وتناولها لموضوع الغضب

ويشمل هذا القسم ثلاثة أحاديث نبوية جاءت بصيغة الحث على كظم الغيظ الذي يُعد أحد مؤشرات حدوث الغضب عند الإنسان، وهي:

الحديث الأول: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: " .. وما من جرعة أحب إليَّ من جرعة غيظ يكظمها عبدٌ ؛ ما كظمها عبدٌ لله إلا ملأ جوفه إيماناً " . (أحمد، ج ١، الحديث رقم ٣٠١٧، ص ٨٢٦) .

الحديث الثاني: صحَّ عن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: " من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يُنفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخَيَّرَ في أي الحور شاء " . (الترمذي، ج ٤، الحديث رقم ٢٤٩٣، ص ٦٥٦) .

الحديث الثالث: صحَّ عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال: قال رسول الله ﷺ : " ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله عز وجل " . (ابن ماجه، الحديث رقم ٤١٨٩، ص ٦٩٦) .

الجانب التطبيقي

يتناول الجانب التطبيقي من هذه الدراسة الإجابة عن السؤالين الرابع والخامس كما أشار الباحث في إجراءات الدراسة، وذلك من خلال المحورين التاليين:

المحور الرابع: ملامح من أوجه الإعجاز العلمي في أحاديث الغضب

ليس هناك من شك في أن الهدي النبوي الكريم وما اشتمل عليه من أحاديث شريفة تشتمل على الكثير من أوجه الإعجاز العلمي الذي نطق به الفم الشريف في مختلف شؤون الحياة ومجرياتها، وفيما يلي تسليط للضوء على مجموعة الأحاديث النبوية التي جاءت في شأن الغضب والمُشتملة على العديد من أوجه الإعجاز العلمي التي تتضح أبعادها وتتحدد معالمها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ويأتي من أبرزها ما يلي:

١. السبق العلمي والمعرفي المعجز الذي جاء به الهدي النبوي الكريم صريحاً واضحاً في أحاديث الغضب على وجه الخصوص كوجه من

أوجه الإعجاز العلمي النبوي الذي لم يظهر ولم يعرفه الناس إلا في العصر الحديث، وبعد أن تم الكشف عنه من خلال العديد من الدراسات العلمية الحديثة التي أُجريت في مختلف المجالات العلمية، والطبية، والنفسية، والتربوية، وغيرها من المجالات الأخرى. ويتمثل هذا السبق العلمي والمعرفي في اشتغال هذه الأحاديث النبوية في مجموعها على الكثير من الحقائق العلمية والمعرفية التي لم تتمكن العلوم المكتسبة الحديثة من الوصول إلى معرفتها، وفهمها، وكشف أسرارها؛ إلا بعد قرون عديدة من إخبار النبي ﷺ بها في أحاديثه الشريفة.

٢. الإعجاز التربوي السلوكي المتضمن في دعوة الرسول ﷺ التربوية للإنسان المسلم إلى تدريب النفس البشرية على تغيير السلوك الخاطئ الذي غالباً ما يقع فيه الإنسان الغاضب عند مواجهته لمختلف المشكلات والمواقف اليومية، والتعود على السلوك السوي القويم المتسم بالهدوء والالتزان، والحرص على تجنب كل ما من شأنه حصول الانفعال وثوران النفس من خلال التدرب التدريجي على مواجهة تلك المواقف، وحسن التعامل معها بهدوء وروية؛ وإلى هذا المعنى تشير إحدى الدراسات العلمية النفسية التي تؤكد على أن " الغضب يمثل ضعفاً في السلوك، وأنه يرتبط بجوانب ضعف متنوعة مثل الأنوثة والطفولة والشيخوخة، ويستدل على ذلك بأن ضبط النفس عند الغضب هو القوة " (٢٢).

٣. الإعجاز التربوي الجمالي الذي تدعو إليه السُّنة النبوية المطهرة وتحث عليه من خلال الأحاديث النبوية الصريحة سواء أكانت بصورة مباشرة أو غير مباشرة اهتماماً منها بالمحافظة على المظهر الشخصي القويم، والهيئة الجميلة السوية التي خلقه الله تعالى عليها فجاءت كما وصف الحق سبحانه في أحسن خلقة وأجمل تكوين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ ﴿ (سورة التين: الآية ٤) .

وفي ذلك إشارة إلى أنه ينبغي على الإنسان أن يحرص على عدم تغيير خلقته السوية وهيئته المعتدلة، أو تشويهها سواء أكان ذلك عن طريق الغضب أو غيره من الدواعي والأسباب التي تؤثر سلبياً على هيئة الإنسان الجميلة، وتؤدي إلى اختلاف شكله السوي، ومظهره الحسن، وهو ما يُشير إليه أحد الكتاب بقوله: " فالغضببان أول ما يجني على نفسه [إذ] تقبَّح صورته، وتتشنج أعصابه، ويفحش كلامه، ويزيد على من ظلمه انتقامه، وقل ما تراه إلا وهو شُعلة من نار يأكل بعضه بعضاً، فصدره مَوْغُورٌ، ورأسه مُلتهب، وعيناه شاخصتان إلى من أغضبه، وربما شَخَّرَ ونَخَّرَ، فكان أعجوبة لمن يتعظ به، ويتعلم عليه فضيلة الحُلم والاحتمال " .^(١٢)

٤. الإعجاز العلمي الوقائي (القبلي) الذي دعت إليه توجيهات السنة النبوية وحثت عليه، وهو ما يتضح من خلال ما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة التي توجَّه، وتنصح، وتحث، وتُرشد، وتوصي الإنسان المسلم بتوقي الغضب ابتداءً، والاجتهاد في البُعد عنه من خلال تجنب الدواعي والأسباب التي قد توقع الإنسان فيه أو تجرَّه إليه، والتي تُربِّيه في الجملة على الكيفية الصحيحة لمستويات التعامل مع انفعال الغضب " فالمستوى الأول في التعامل مع انفعال الغضب [يكون] بالعمل على قطع أسبابه، وتدريب النفس على تخفيفه بالرياضة والتمرين والاكْتِسَاب، وهذا التوجيه النبوي يُعنى بالجانب الوقائي " ^(١٣) .

٥. الإعجاز العلمي العلاجي الذي أرشد إليه الهدي التربوي النبوي المبارك بصورٍ مختلفة فيها تنوعٌ وتدرُّجٌ، وتتضح معالم هذا الإعجاز من خلال تعدد الخطوات العلاجية التي جاءت في مجموع هذه الأحاديث النبوية وتدرجها وتنوعها، وهو ما يُشير إليه أحد الباحثين المتخصصين

بقوله: "وقد تم علاج انفعال الغضب على مستويات عدة من حيث الزمن، وعلى مستويات عدة من حيث الفعل، إلى جانب توظيف الغضب وتوجيهه لموضوعات مُعللة شرعاً أو عقلاً... فمن حيث الزمن عولج الغضب قبل حدوثه، وأثناء حدوثه، وبعد حدوثه. ومن حيث الفعل عولج الغضب بالأفكار، والأفعال، والأقوال " .^(١٢)

٦. الإعجاز العلمي الإخباري الذي ورد على لسان النبي محمد ﷺ في أحاديثه الثابتة عنه ﷺ حول موضوع الغضب وحقيقته، ومعرفة دواعيه، وبيان كيفية الوقاية منه، والتدرج في خطوات علاجه والتخلص من آثاره، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، في الوقت الذي يعلم الجميع أنه ﷺ كان (أمياً)، فلم يعرف عنه ﷺ أنه كان قارئاً أو كاتباً طول حياته؛ حتى أن القرآن الكريم وصفه بذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (سورة الأعراف: من الآية ١٥٧). وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (سورة العنكبوت: الآية ٤٨) . ومع ذلك كله، فقد أخبر هذا النبي الأمي ﷺ، في شأن الغضب بالكثير من الحقائق العلمية، والمعرفية، والنفسية، والطبية، وغيرها مما لم يُعرف بين الناس إلا مؤخراً بعد تقدم العلوم والمعارف وتطور وسائلها وآلياتها؛ فكان ذلك بحق إعجازاً إخبارياً لا تزال الكثير من معالمه تُكشف وتتحقق يوماً بعد يوم.

ونخلص مما سبق إلى أن أحاديث المصطفى ﷺ التي تناولت قضية الغضب تحمل في طياتها العديد من أوجه وملامح الإعجاز العلمي الذي لم تُدرکه البشرية، ولم يُكشف النقاب عنه، ولم يُعرف إلا في العصر الحديث، وبعد أن تطورت مختلف العلوم البشرية، وأن هذه الملامح الإعجازية قد اشتملت في مجموعها على ما يُمكن أن يُمثل في مجموعه نظرية تربوية إسلامية

متكاملةً تتضح أبعادها من خلال تنوع التوجيهات النبوية الكريمة التي أرشد إليها النبي ﷺ في الوقاية من الغضب ومعالجته، وفي ذلك ملمحٌ إعجازيٌّ تربويٌّ لكونه جاء مراعيًا لحال الإنسان الغاضب وظروفه الزمانية والمكانية؛ فقد يكون الغاضب في حالٍ يمكنه معه البعد المبكر عن دواعي وأسباب الغضب فيتقيه ويكفي نفسه من الوقوع فيه، وقد يكون الغاضب في حالٍ يسمح له بتغيير وضعيته التي يكون عليها وقوفًا أو جلوسًا أو اضطجاعًا، وقد يكون في حالٍ يسمح له بالوضوء أو الاغتسال، وربما كان في حالٍ لا يمكنه معها سوى مجرد النطق بالاستعاذة وترديدها، وهكذا تتنوع التوجيهات بتنوع الحالات التي يكون عليها الإنسان الغاضب فيكون لكل مقامٍ ما يناسبه من التوجيه والعلاج، الأمر الذي يحتاج إلى مزيدٍ من الدراسات والأبحاث العلمية التطبيقية في هذا الشأن.

المحور الخامس: أبرز الدلالات التربوية للملامح الإعجازية في أحاديث الغضب

يُقصد بالدلالات التربوية في هذا البحث مجموعة العلامات أو الإشارات أو المعاني التربوية التي يمكن استنباطها من النصوص الحديثية (عينة الدراسة)، ويأتي من أبرز الدلالات التربوية لمجموع الملامح الإعجازية في أحاديث الغضب ما يأتي:

١. أن انفعال الغضب وإن كان طبعاً فطرياً عند الإنسان؛ إلا أنه ليس أمراً لازماً، ولا حتمياً، ولا مفروضاً عليه، حيث يمكن للإنسان ألا يغضب، وأن يتحكم في غضبه، وأن يضبطه بضوابط مختلفة، فقد صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: "لا تغضب"، فردَّد مراراً، قال: "لا تغضب". (البخاري، الحديث رقم ٦١١٦، ص ١٠٦٦).

كما صحَّ في روايةٍ أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه

وسلم فقال: علمني شيئاً ولا تُكثر عليّ لعلي أعيه. قال ﷺ: "لا تغضب"، فردَّد ذلك مراراً، كل ذلك يقول: "لا تغضب". (الترمذي، الحديث رقم ٢٠٢٠، ص ٤٥٧).

وهنا يمكن ملاحظة أن صيغة الأمر المباشر من الرسول ﷺ لمن طلبه الوصية بقوله: "لا تغضب"، وتكراره لذلك القول مرةً بعد مرة تؤكد هذا المعنى، وتدلُّ على أن بإمكان الإنسان ألا يغضب، وأن يقي نفسه ويُرَبِّيهَا ويُعوِّدها على اجتناب دواعي وأسباب الغضب، وهو ما أشار إليه أحد الباحثين النفسيين بقوله: "وهذا التوجيه النبويُّ يُعنى بالجانب الوقائي؛ إذ إنه لكي يتلافى الإنسان هذا الانفعال - بواطنه وظواهره وآثاره - عليه أن يتوقى في الدرجة الأولى الأسباب المُثيرة له، والبيئات المُمهِّدة والمناسبة لحدوثه". (١٢).

٢. أن بإمكان الإنسان أن يقهر غضبه، وأن يكظم غيظه، ويكون ذلك بالهدوء والروية، وتعويد الإنسان الغاضب لنفسه - بالتدريب التدريجي - على عدم إنفاذ ما تدعوه إليه نفسه حال الغضب من الانفعال، والثوران، والهيجان، ونحو ذلك من السلوكيات والتصرفات الانفعالية السيئة قوليةً كانت أم فعلية.

وقد أشارت إلى هذا المعنى إحدى الدراسات النفسية التي أشارت إلى أن "استعداد الإنسان الذي يُدرَّب بالرياضة والتمرين على التَّخَفُّفِ والتَّوقِي من هذا الانفعال وآثاره أولى بتلافيه - مع الزمن - من غيره". (١٢).

والمعنى أن بإمكان الإنسان أن يتعلَّم ويُدَرَّب نفسه على تقويم وتهذيب غضبه، وهو ما تؤكدُه إحدى الدراسات العلمية التي أشارت إلى أن الأفراد لا يولدون ولديهم أساليب معينة من التعبير عن الغضب؛ بل إن سلوك التعبير عن الغضب هو سلوكٌ مُتعلَّم، يتعلمه الفرد في سياق تفاعله مع الآخرين في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وأن أساليب التعبير الملائمة للغضب

يمكن أيضاً تعلمها".^(١٦).

وفي هذا دلالة تربوية على أن الإنسان يمكن أن يعمل على ترويض النفس وتربيتها بين الحين والآخر على التحلي بفضائل الأخلاق، وكريم السجايا، وحميد الصفات حتى تعتاد الحلم والعفو والصفح، وتألف الصبر والتروي، وتتربى على عدم الاندفاع والتسرع في الرد والانتقام عند الغضب سواءً بالقول أو الفعل.

وهكذا مرةً بعد مرة يُصبح ذلك طبعاً وسجيةً عند الإنسان المسلم مقتدياً في ذلك بشخصية الرسول ﷺ، الذي كان يسبق حلمه غضبه، وعفوه عقوبته، وإلى ذلك يُشير أحد الكتّاب بقوله: "فالْمُؤْمِنُ الَّذِي يَعْلَمُ فَضْلَ الْحِلْمِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيُلَاحِظُ الثَّوَابَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْحُلَمَاءِ، لَا بُدَّ أَنْ يَجِدَ فِي نَفْسِهِ انْدِفَاعاً قَوِيّاً لِكِتْسَابِ فَضِيلَةِ الْحِلْمِ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ التَّكْلِفِ وَمُغَالَبَةِ النَّفْسِ، وَبَعْدَ التَّدْرِبِ خِلَالَ مَدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ - قَدْ تَطَوَّلَ أَوْ لَا تَطَوَّلَ - فَقَدْ يُصْبِحُ الْحِلْمُ سَجِيَّةً خُلُقِيَّةً مَكْتَسِبَةً، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَصْلِ طَبْعاً فِطْرِيّاً".^(١٧)

٣. أن سكوت الإنسان الغاضب والتزامه للصمت، وامتناعه عن الكلام يُعد مما يُعين الإنسان الغاضب على عدم استرساله في غضبه، والحد منه، وتجنب مضاره ومساوئه، وهو ما حث عليه الهدي التربوي النبوي، فقد صحَّ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ". (البخاري في الأدب المفرد، الحديث رقم ٢٤٥، ص ٩٥).

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم للغضبان بالسكوت وعدم الكلام دلالة على إحدى الخطوات العملية السلوكية التي تُسهم إلى حد ما في ضبط الغضب ومحاولة السيطرة عليه والتقليل من مخاطره ونتائج السيئة، وإلى هذا المعنى يُشير أحد علماء السلف بقوله:

"وهذا دواءٌ عظيمٌ للغضب؛ لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيراً من السباب وغيره، مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه".^(١٨).

٤. أن يُبادر الإنسان الغاضب إذا لم يتمكن من السيطرة على نفسه بالسكوت التام إلى الاستعاذة اللفظية (القولية) بالله تعالى من الشيطان الرجيم، وأن يُكررها مرةً بعد مرة لما في ذلك من الاعتصام بعظمة الله تعالى، واللجوء إليه سبحانه، وفي ذلك تربية للإنسان على الاجتهاد في استحضار معنى هذه الاستعاذة في قرارة نفسه لما في ذلك من طرد للشيطان ودحره وإبطال مكره انطلاقاً من مبدأ العمل بالتوجيه القرآني الذي جاء في موضعين من القرآن الكريم، حيث يقول تعالى في الموضع الأول: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأعراف: الآية رقم ٢٠٠). ويقول سبحانه في الموضع الثاني: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة فصلت: الآية رقم ٣٦).

يُضاف إلى ذلك ما في التلفظ بالاستعاذة وتكرارها من التزام وعملٍ بالهدي التربوي النبوي الذي دللنا عليه المصطفى ﷺ كوسيلة فاعلة وإيجابية لتسكين الغضب، وتهذبة ثورته في النفوس - بإذن الله تعالى -؛ فعن سليمان بن صُرد أنه قال: استب رجلان عند النبي ﷺ، فجعل أحدهما تحمّر عيناه، وتنتفخ أوداجه. فقال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف كلمة لو قالها هذا لذهب عنه الذي يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". (أبو داود، ج ٤، الحديث رقم ٤٧٨١، ص ٢٤٩).

ويُعلّق أحد المختصين على أهمية تلفظ الغاضب بالاستعاذة، ودورها الفاعل في علاج المواقف الانفعالية بقوله: "ذلك أن الاستعاذة

تقطع على الشيطان طريقه، فلا يُغري بالاستمرار في انفعال الغضب، وبذلك يتمكّن الفرد من تحويل السلوك إلى شيءٍ مُخالف^(١٥).

وليس هذا فحسب، ففي تكرار الاستعادة علاجٍ نفسيٍّ مؤكّدٍ للغاضب، ولاسيما أن الغضب لا يكون - في الغالب - إلاّ من الشيطان الذي يأمر بالسوء، وهو ما يُشير إليه أحد أساتذة علم النفس بقوله: "وإذا نظرنا إلى الإجراءات العملية قوليةً أو إجرائيةً نجد في مقدمتها الاستعادة بالله من الشيطان الرجيم يُكررها الفرد لنفسه، وهي بلغة علم النفس تعمل كاستجاباتٍ مُضادةٍ أقوى من استجابة الغضب، وتشتمل على جانب رفضٍ لهذا الدخيل (الغضب) على نفسه، وما يترتب عليه من أضرار، وهي كلها من فعل الشيطان، واستعانةً بالله سبحانه وتعالى القادر على إذهاب كيد الشيطان".^(١٦)

وقد يتبع لما سبق أن يُدرب الإنسان الغاضب نفسه على الانشغال بذكر الله سبحانه وتعالى ولاسيما عند الغضب والانفعال، لما في ذلك الذكر من إسهامٍ إيجابيٍّ في حصول الطمأنينة والسكينة في النفوس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد: من الآية ٢٨). ولما يترتب على ذلك من تذكير النفس الغاضبة بعظمة الله جل في علاه وقدرته، والحث على الخوف منه سبحانه، وبخاصة متى كان غضب الإنسان على من هو قادرٌ على عقابه والانتقام منه. وقد أشار إلى هذا المعنى أحد علماء السلف بقوله: "مكتوبٌ في الإنجيل: ابن آدم، اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت فلا تنتصر، فإن نصرتي لك خيرٌ من نصرتك لنفسك".^(١٧)

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه يمكن القول: إن في إشغال الإنسان الغاضب لنفسه بالاستعادة من الشيطان الرجيم وذكر الله تعالى تلبيةً نفسيةً

لرغبته الفطرية في الكلام، وإشباع لحاجته إلى الرد اللفظي على من استثارت غضبه، فجاءت هذه اللمحة الإعجازية التربوية النبوية التي تُلبي للإنسان هذه الرغبة في التلطف ببعض الكلام لغرض التنفيس عن النفس؛ ولكنها لا تُطلق هذه الرغبة على عواهنها بل توظفها وتوجهها في الوقت نفسه لصالح الإنسان فتشغله بذكر الله تعالى المطمئن للقلوب فتكون النتيجة أن "من اطمأن قلبه بذكر الله تعالى كان أبعد ما يكون عن الغضب".^(١٨)

وليس هذا فحسب "فالانفعال الشديد كالغضب المغلق والفرع سلوكٌ بدائيٌّ غير ناضج، وهو أقرب إلى الشذوذ منه إلى السواء عندما يكون عنيفاً. ولذلك فإن الاستعادة من الشيطان وممارسة التذكر [أي لأبعادها ومعانيها] تخفّض الانفعال، وتُعيد للعقل وظيفته، وتقطع على الشيطان طريقه للاستيلاء على عقل الإنسان وقدراته التحكمية الضابطة".^(١٩)

٥. أن التغيير اليسير للوضعية أو الحالة التي يكون عليها الإنسان الغاضب تعمل إلى حد ما في تخفيف حدة الغضب والحيولة دون تعاظم ضرره؛ حيث إن مجرد إشغال النفس بالتفكير في تغيير الحالة أو الوضعية التي يكون عليها وقوفاً أو جلوساً، أو تغيير موضوع الحديث مثلاً، أو نحو ذلك من أنواع التغيير سيُسهم ولو جزئياً في صرف اهتمام الغاضب، والتقليل من حدة غضبه وانفعاله، وهو ما يُشير إليه الحديث النبوي الشريف الذي صحَّ عن أبي ذر رضي الله عنه، والذي يُخبر أن رسول الله ﷺ قال: "إذا غضب أحدكم وهو قائمٌ فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع". (أبو داود، ج ٤، الحديث رقم ٤٧٨٢، ص ٢٤٩)

وقد علّق أحد الباحثين النفسيين على ما نص عليه هذا الحديث الشريف من التوجيه النبوي الكريم بقوله: "وتغيير الوضعية أو الهيئة في حال

الغضب لإزالته وإذهابه يدخل فيه صور كثيرة كالانشغال بمهنة، أو قراءة، أو لعب، وكتغيير الاتجاه في الحديث والحركة. وما أشار إليه الحديث هو أيسرها وأهمها وأنجحها في هذه المرحلة من الغضب - والله أعلم - ^(١٢).

وهنا يمكن ملاحظة أن في ما سبق دلالة تربوية تتمثل في أن الإنسان الغاضب عندما يكون واقفاً (على سبيل المثال)، يكون في حالة تهيب واستعداد لسرعة الانتقام أكثر مما لو كان جالساً أو مضطجاً؛ فجاء التوجيه النبوي الكريم داعياً إلى تغيير الحالة أو الوضعية الجسمية التي يكون عليها الإنسان الغاضب منعاً لما قد يتوقع من ردة الفعل المباشرة له، وعلاجاً لها؛ ولاسيما أن القائم متهيئ للانتقام، والجالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعد عنه ^(١٣).

وقد أكد هذا المعنى أحد أساتذة علم النفس بقوله: "إن الجلوس أو الاضطجاع في حالة الغضب يؤديان إلى استرخاء البدن، مما يساعد على مقاومة التوتر الذي أحدثه الغضب، ويؤدي ذلك في النهاية إلى تخفيف حدة انفعال الغضب تدريجياً، ثم التخلص منه نهائياً. كما أن الجلوس والاضطجاع يقاومان ميل الإنسان إلى العدوان، ويساعد ذلك على مواجهة الموقف المثير للغضب بالهدوء والحكمة، من غير تهور واندفاع" ^(١٤).

كما أن في تغيير الوضعية أو الهيئة التي يكون عليها الإنسان الغاضب سيعمل ولو جزئياً على صرف انتباهه إلى ما يبعده عن الغضب بوسيلة أو بأخرى، ومن ثم يحول ذلك دون استمرار ثورة الغضب أو إنفاذها، وهو ما يؤكد أحد أساتذة علم النفس بقوله: "ومما يساعد على التخلص من انفعال الغضب أيضاً تغيير حالة الإنسان النفسية، وتوجيه الانتباه إلى أمور أخرى بعيداً عن الأمر الذي أثار الغضب، فيشتغل الإنسان بالتفكير فيه، وينصرف عن التفكير في الأمر الذي أثار الغضب" ^(١٥).

٦. أن يعمل الإنسان الغاضب على الثبات في مكانه الذي هو فيه، والمعنى - كما يبدو - ألا يكثر الغاضب من الحركة ذهاباً وإياباً، أو التنقل من مكان إلى آخر ونحو ذلك، لما صحَّ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: "ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليصق بالأرض". (الترمذي، ج ٤، الحديث رقم ٢١٩١، ص ٤٨٣).

ولعل المقصود بقوله ﷺ "فليصق بالأرض"، يتمثل في التوجيه التربوي ببقاء الإنسان الغاضب في مكانه وثباته على الحالة التي يكون فيها قريباً من الأرض، وعدم الحركة الكثيرة ولاسيما مع شدة الانفعال، وهو ما يشير إليه أحد الكتاب المعاصرين بقوله: "نلاحظ في هذا الحديث لوناً من ألوان العلاج لثورة الغضب، وصفه الرسول ﷺ، ألا وهو اللصوق بالأرض، والغرض منه تجميد كل حركة يمكن أن ينجم عنها آثار غضبية مادية" ^(١٦).

وقد أشار إلى هذا المعنى أحد الباحثين الذي أكد على أهمية سكون الجسم عند شدة الانفعال، وفي ذلك يقول: "هذه الحقيقة الكونية وهي (سكون الجسم) بعد مدة قصيرة من الانفعالات أثبتها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ضمن حقائقه العلمية الثابتة، والتي فطن إليها علماء النفس في العصر الحديث حيث ظهر لهم أهمية سكون الجسم بعد الانفعال وعودته إلى حالته الطبيعية، وأن الإنسان يمكنه أن يقوم بأنماط سلوك أخرى طبيعية" ^(١٧).

٧. أن يبادر الإنسان الغاضب إلى خطوة عملية إجرائية تتمثل في التسارعة إلى الوضوء أو الاغتسال الذي - لا شك - أن له أثراً فاعلاً وإيجابياً في تهدئة ثورة الغضب والتقليل من حدة الانفعال التي من المعلوم أنها تتسبب في فوران دم الإنسان الغاضب وارتفاع حرارة جسمه؛ فما

أن يتوضأ ويغسل أطرافه بالماء - ولاسيما البارد - حتى يعود إلى وضعه الطبيعي وتزول حرارة الغضب - بإذن الله تعالى -، وهو ما أرشد إليه الهدي النبوي الكريم في لمحة إعجازية تربوية رائعة، فعن عطية بن عروة السعدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ". (أبو داود، ج ٤، الحديث رقم ٤٧٨٤، ص ٢٤٩).

وقد علّق أحد المختصين في علم النفس على إحدى دلالات هذا الحديث النبوي الشريف بقوله: "ويشير هذا الحديث إلى حقيقة طبية معروفة: فالماء البارد يهدئ من فورة الدم الناشئة عن الانفعال، كما يساعد على تخفيف حالة التوتر العضلي والعصبي. ولذلك كان الاستحمام يُستخدم في الماضي في العلاج النفسي".^(٢٦)

وهذا يعني أن مبادرة الإنسان الغاضب للوضوء تعد خطوة علاجية يُعبّر عنها في علم النفس بمصطلح (الإطفاء) ويقصد به "إطفاء الغضب بالماء".^(٢٧)

وقد أكد هذا المعنى ما أشار إليه أحد الباحثين بقوله: "والوضوء هو الصورة الشرعية الشاملة والسريعة لاستعمال الماء في إسكات الغضب، وإخماد لهيبه؛ حيث يمر الماء على الجوارح المتأثرة من الوجه والفم واليدين والرجلين، وهي الأعضاء المستعدة للحركة والبطش. وهو نوع من التبريد لتلك الحرارة بملامسة الماء ومُروّره على بشرة الإنسان الفائرة؛ حيث تُحس النفس ببرود وهدوء تدريجي يخف الغضب بعده ثم ينقطع".^(٢٨)

ومما سبق نرى أن ما أرشد إليه الهدي النبوي من مُسارعة الإنسان الغاضب إلى الوضوء تمثل علاجاً سلوكياً فاعلاً وإيجابياً في تغيير طبيعة الموقف الذي يكون عليه الغاضب جسماً ونفسياً، وهو ما أكدّه باحث آخر بقوله: "إن الوضوء يقوم

بوظيفتين علاجيتين، الأولى جسمية والثانية نفسية، أما العضوية فلأن الغضب ينشأ عنه مظاهر فسيولوجية عضوية دالة على تأثر أجهزة الجسم بالانفعال.. فالوضوء يقوم بإحداث هذا التوازن (بين حرارة الجسم وحرارة الجو الخارجي) وإعادته إلى حالته الطبيعية كما يقوم بتعويض الجسم عن طريق مسام الجلد عما أفرزه بواسطة العرق.

أما الوظيفة النفسية فلأنه تحول من وضع حاد إلى شعور آخر تُسيطر عليه العاطفة الدينية؛ وذلك أن الوضوء مظهر من مظاهر العبادة"^(٢٩).

٨. أن يجتهد الإنسان في محاولة التحكم في انفعالاته، والتعود على امتلاك النفس وضبطها عند الغضب كنوع من التدريب على قوة الشخصية التي حث النبي ﷺ على بيان حقيقتها ومعناها، فقد صحّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". (البخاري، ص ١٠٦٦، الحديث رقم ٦١١٤).

ويُعلق على هذا الحديث أحد أساتذة علم النفس بقوله: "وفي هذا الحديث يُعلّم الرسول ﷺ المسلمين معنىً جديداً للقوة، وهو معنى خُلقي نبيل يختلف عن المعنى الذي كان سائداً بين العرب في الجاهلية؛ فليست القوة هي قوة البدن، والقدرة على صرع الرجال والبطش بهم، وإنما القوة هي مُجاهدة النفس والتحكّم في انفعال الغضب، وعدم إنفاذه على الغير مع القدرة على ذلك".^(٣٠)

ويؤكد هذا المعنى كاتب آخر بقوله: "القوة الحقيقية [للشخصية الإنسانية] تكمن في امتلاك النفس والسيطرة عليها عند فوران الغضب".^(٣١)

وهذا فيه تربية للإنسان المسلم على مُجاهدة النفس، وضبطها، ومُغالبتها على عدم الغضب "لأن تعلّم التحكم في انفعال الغضب إنما يُقوّي

إرادة الإنسان على التحكم في جميع أهواء النفس وشهواتها، ويُمكن الإنسان في النهاية من أن يكون مالك نفسه وسيدها، وليس عبداً لانفعالاته، وأهوائه وشهواته".^(٢٦)

٩. أن يستحضر الإنسان عظيم الثواب وجزيل الأجر الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى في الدار الآخرة لمن ملك غضبه، وتحكّم في انفعاله، وكظم غيظه مع قدرته على إنفاذه، ولا سيما أن المقصود بالغيظ "أشد الغضب، وكظم الغيظ هو الإمساك على ما في النفس من الغضب حتى لا يظهر له أثر".^(٢٧)؛ فإذا تمكن الإنسان من استحضار ذلك المعنى وقت الغضب كان أقدر على تدريب نفسه وتربيتها على دفع الغضب ومنعه، وفي ذلك دلالة تربوية على أن الإنسان يمكن أن يعمل بشيء من الجهد والتدريب على ترويض النفس وتربيتها بين الحين والآخر على التحلي بفضائل الأخلاق، وكريم السجايا، وحميد الصفات حتى تعتاد وتألّف كظم الغيظ، والحلم عند الغضب، والعفو والصفح عن الآخرين، وحتى تتدرب على الصبر والتروي، وتتربى على عدم الاندفاع والتسرع في الرد والانتقام عند الغضب سواءً بالقول أو الفعل. وليس هذا فحسب؛ فإن مجموع الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت في فضيلة كظم الغيظ، وعدم إنفاذ الغضب مع القدرة عليه، تؤكد إحدى أهم الدلالات التربوية التي تحث الإنسان على تجنب الغضب والتوقّي منه، وتُشجّعه على ضرورة التحكم في انفعالات النفس الغاضبة، وعدم الاستجابة لها أو الاسترسال معها من خلال محاولة كظم الغيظ الذي يُقصد به: "إحداث مقاومة ذاتية داخلية تؤدي إلى إضعاف انفعال الغضب وتهديته، وتمنع الإنسان من رد الفعل أو التشفي".^(٢٨)

١٠. أن يتفكر الإنسان الغاضب ويتأمل فيما ينتج عن الغضب من المناظر المؤلّة، والنتائج المؤسفة، والعواقب الوخيمة التي تبتدأ به قبل غيره،

وربما تمتد إلى غيره ممن حوله، والتي - غالباً ما تؤدي - إلى الندم والحسرة على ما كان من قولٍ جارح، أو عملٍ أهوج، أو سلوكٍ شائنٍ لا يتفق ولا يتناسب مع ما تمتاز به شخصية الإنسان المسلم من جميل الصفات وكريم الخصال؛ وبخاصة أن "الاندفاع وراء الغضب يُفقد الإنسان الروية في الحكم، والأناة في بحث الأمور بحثاً عقلياً من جميع جوانبها، وحينئذ يأتي بالخطأ ويحدث الظلم، ويجلب الإنسان على نفسه شرواً كان في غنى عنها لو لم يندفع وراء ثورة الغضب".^(٢٩)

وفي هذا الشأن يقول أحد علماء السلف في وصف بشاعة الشكل الظاهري الذي يبدو عليه الإنسان عند غضبه وانفعاله: "ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق، وتحمّر الأحداق، وتقلب المناخر، وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءً من قبح صورته واستحالة خلقة وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن".^(٣٠)

وهنا دلالة تربوية على قدر كبير من الأهمية وتتمثل في أن يتفكر الإنسان في عظيم قدرة الله تعالى - ولا سيما عندما يغضب على من هو دونه وهو قادر على الانتقام منه وإنفاذ غضبه عليه -، وأن يُخوف نفسه من عقاب الله سبحانه، وفي هذا المعنى يقول أحد علماء السلف في بيانه لعلاج الغضب: "أن يُخوف نفسه [أي الغاضب] من عقاب الله، وأن يقول [أي لنفسه]: قدرة الله عليّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان؛ فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضي الله غضبه عليّ يوم القيامة".^(٣١)

كما أن على الإنسان الغاضب أن يتأمل في المواقف التربوية السلوكية الفاضلة التي كان يتحلّى بها سلفنا الصالح في هذا الشأن، فقد

صحَّ في كتاب (الأدب المفرد) عن أبي ليلى أنه قال: " خرج سلمان، فإذا علفُ دابته يتساقط من الآرى (أي الحبل الذي تُشد به الدابة في محبسها)، فقال لخادمه: لولا أنني أخاف القصاص لأوجعتك". (البخاري، الحديث رقم ١٨٢، ص ٧٤).

ويخلص الباحث إلى أن هناك العديد من الملامح الإعجازية والدلالات التربوية التي اشتملت عليها أحاديث الغضب، والتي تُوضح في مجموعها الكيفية الصحيحة التي حث عليها، ونصح بها، ووجَّه إليها الرسول ﷺ، لغرض الوقاية من انفعال الغضب والعمل على علاجه متى حصل، والتي يمكن أن نخلُص منها إلى نتيجة تربوية نهائية تتمثل في أن "تعلُّم التحكم في انفعال الغضب إنما يقوِّي إرادة الإنسان على التحكم في جميع أهواء النفس وشهواتها، ويُمكِّن الإنسان في النهاية من أن يكون مالك نفسه وسيدها، وليس عبداً لانفعالاته وأهوائه وشهواته".^(٢٦)

النتائج والتوصيات

وختاماً، يعرض الباحث لأبرز النتائج التي توصل إليها من دراسته في جانبها (النظري والتطبيقي)، وكذلك التوصيات التي يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

أولاً: النتائج

١. كشفت الدراسة في الجانب النظري منها أن للغضب دواعي وأسباباً متنوعة تعمل منفردة أو مجتمعة وبدرجات متفاوتة على استثارة الغضب عند الإنسان، وقد اختلف في تحديد تلك الدواعي والأسباب تبعاً لاختلاف الرؤى والتوجهات والتخصصات.

٢. كشفت الدراسة أن للغضب آثاراً سلبية متنوعة على الفرد والمجتمع، وقد أبرزتها الدراسة في الجانب النظري، مُشيرة إلى أن هذه الآثار السلبية تشمل جميع جوانب الحياة

سواءً أكانت فردية، أم اجتماعية، أم جسمية، أم نفسية، أم فكرية.

٣. أن انفعال الغضب وإن كان فطرياً عند الإنسان، إلا أنه ليس أمراً لازماً ولا مفروضاً عليه، ومن ثم فإن بإمكان الإنسان الواعي أن يقهر غضبه، وأن يتحكم في انفعالاته ويضبطها من خلال تربية النفس وتعويدها على ذلك.

٤. أن بإمكان الإنسان أن يتعلَّم (تدريجياً) على التحكم الإيجابي في انفعالاته، وترويض النفس وتدريبها مرةً بعد مرة على عدم إنفاذ ما يدعوه إليه الغضب من الثوران والهيجان ونحو ذلك من السلوكيات الانفعالية قوليةً كانت أم فعليةً، ويؤكد ذلك تكرار توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لطالب الوصية منه بعدم الغضب.

٥. أن هناك عدداً من ملامح وأوجه الإعجاز العلمي في الأحاديث النبوية الشريفة ذات العلاقة بموضوع الغضب، ويمكن الإشارة إلى أبرز تلك الملامح فيما يلي: السبق العلمي والمعرفي، الإعجاز التربوي السلوكي، الإعجاز العلمي الوقائي، الإعجاز الجمالي، الإعجاز العلاجي، الإعجاز العلمي الإخباري.

٦. أن مجموعة الأحاديث النبوية الواردة ذكرها في الدراسة قد اهتمت بالإشارة إلى العديد من الوسائل التربوية الملائمة والمناسبة لعلاج الغضب في مختلف الحالات والظروف، ومن أبرز هذه الوسائل: السكوت والتزام الصمت، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وتغيير الوضعية التي يكون الإنسان عليها حال الغضب، والإسراع إلى الوضوء أو الاغتسال، إلى غير ذلك مما يُعين الإنسان على عدم الاسترسال في الغضب، والحد منه، وتجنب مضاره ومساوئه.

٧. أن السنة النبوية قد اشتملت على ما يُمكن أن يُمثل (نظريةً تربويةً إسلاميةً) متكاملة الأبعاد لغرض وقاية الأفراد وحماية المجتمعات من الآثار السلبية للغضب، ومن ثم العمل على

ضبطه وعلاجه والتصدي له .

٨. أن اهتمام السُّنة النبوية الإعجازي بانفعال الغضب قد راعى واحداً من أهم المبادئ التربوية والمتمثل في مبدأ الفروق الفردية، وهو ما تؤكدُه مجموعة الأحاديث النبوية الصحيحة التي تحدثت وأرشدت إلى الكيفية التربوية التي ينبغي للإنسان المسلم أن يتعامل بها ومن خلالها مع من حوله في حالة الغضب، فمن هذه الأحاديث ما جاء على شكل وصية عامة، ومنها ما كان على شكل توجيه سلوكي معين قبل حصول الغضب، وقد يكون هذا التوجيه السلوكي بعد حصول الغضب، كما أن من الأحاديث ما جاء على شكل فعلٍ مأمورٍ به، أو استحضارٍ لما سيترتب على ذلك الغضب من النتائج، إلى غير ذلك من التوجيهات والإرشادات التربوية النبوية الكثيرة في هذا الشأن .

ثانياً: التوصيات

١. ضرورة العناية بدراسة المنهج التربوي النبوي الذي تتضمنه السنة النبوية الصحيحة، والعمل على الاستفادة منه ومن توجيهاته ودروسه ومضامينه في كيفية التعامل مع الظواهر الاجتماعية المختلفة.

٢. ضرورة العناية بالجوانب التربوية للإعجاز العلمي في السنة النبوية من خلال:

أ. تضمين بعض المناهج التربوية مثل مقرر الحديث الشريف في مراحل التعليم المختلفة نماذج من جوانب الإعجاز العلمي في السنة النبوية بما يتناسب مع مستوى المرحلة الدراسية.

ب. تخصيص بعض الأنشطة التربوية الصفية واللاصفية لتسليط الضوء على بعض جوانب الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وتعرف بعض دلائلها التربوية، وإتاحة الفرصة للنقاش العلمي الإيجابي حول أبعادها ومضامينها .

ج. عقد بعض الدورات التدريبية والتوعوية للمعلمين في مختلف المراحل بمدارس التعليم

العام لاكتساب أكبر قدر ممكن من المفاهيم والمهارات والمعلومات الجديدة في ميدان الإعجاز العلمي في السنة النبوية .

٣. تضمين مقررات الدراسة في المرحلة الجامعية مقرراً معنياً بدراسة قضايا الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ولاسيما طلاب الكليات العلمية والطبية .

٤. الاهتمام بإجراء الدراسات والأبحاث ذات العلاقة بقضايا الإعجاز العلمي في السنة النبوية على وجه الخصوص، والتأكيد على الاستفادة من نتائجها وتوصياتها في مختلف المجالات الحياتية.

٥. أن تهتم الهيئات المعنية بقضايا الإعجاز العلمي بتضمين (الجوانب التربوية للإعجاز العلمي) ضمن اهتماماتها البحثية، وهو ما يمكن أن يتحقق من خلال الدعوة إلى تنظيم الندوات، والتشجيع على عقد اللقاءات، وتخصيص بعض الدراسات العلمية الإعجازية للمجال التربوي الذي تتضمنه السُّنة النبوية الصحيحة.

٦. إجراء بعض الدراسات ومنها:

أ. الدلالات التربوية للإعجاز العلمي في الطب النبوي.

ب. الدلالات التربوية للإعجاز العلمي في أحاديث سُنن الفطرة .

ج. التربية الإبداعية في السنة النبوية (دراسة تربوية) .

المراجع

- القرآن الكريم

١. محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام (السنة النبوية). الدار المصرية اللبنانية. القاهرة، مصر، ط (٤)، (١٤١٧هـ).

٢. أبو الفضل بن منظور. (د. ت) لسان العرب. دار الفكر، بيروت، لبنان.

٣. فتحي عبد الفتاح الدجني. الإعجاز النحوي

١٣. بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني. (د. ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ج (٢٢). دار الفكر، عمان، الأردن.
١٤. مصطفى البغا، ومحي الدين مستو. الواجبة في شرح الأربعين النووية. مكتبة دار التراث. المدينة المنورة، ط (٧)، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٥. محمد السيد محمد الزعبلاني. تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس. مكتبة التوبة. الرياض، ط (٢)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٦. طه عبد العظيم حسين. استراتيجيات إدارة الغضب والعُدوان. دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٧. علاء كفاي، ومايسة النبال. الغضب في علاقته ببعض متغيرات الشخصية - دراسة لدى شرائح عمرية مختلفة في المجتمع المصري والقطري. مجلة الإرشاد النفسي، العدد (٦). جامعة عين شمس، كلية التربية. القاهرة، ١٩٩٧م.
١٨. أحمد عزت راجح. أصول علم النفس. المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، مصر، ط (٩)، ١٩٧٣م.
١٩. محمد نبيل كاظم. كيف نتحرر من نار الغضب؟ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة. ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٠. أبو حامد محمد الغزالي. (د. ت). إحياء علوم الدين. ج (٣). مكتبة عبد الوكيل الدروبي، دمشق - درويشية.
٢١. حسن محمد الشرقاوي. (د. ت). نحو علم نفس إسلامي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.
٢٢. محمد محروس الشناوي. بحوث في التوجيه الإسلامي للإرشاد والعلاج النفسي. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة، ٢٠٠١م.

- في القرآن الكريم. مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٤. عبد الكريم الخطيب. إعجاز القرآن الإعجاز في دراسات السابقين. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م.
٥. جلال الدين السيوطي الشافعي. (د. ت). الإتيان في علوم القرآن. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٦. الشريف علي بن محمد الجرجاني. كتاب التعريفات. دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٣)، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٧. صديق عبد العظيم أبو حسن، ومحمد نبيل غنايم، دراسات في السنة الشريفة. مكتبة الفلاح، الكويت، ط (٢)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨. مصطفى السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط (٤)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٩. عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد الصاوي. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مكة المكرمة: (منهج التدريس الجامعي). الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٠. عبد المجيد الزنداني، وآخران، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ١٤٢١هـ.
١١. محمد يعقوب الفيروزآبادي. القاموس المحيط. ضبط وتوثيق / يوسف الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٢. عبد العزيز بن محمد النغمشي. الغضب. ضمن سلسلة دراسات نفسية في ضوء الإسلام (سلسلة الدوافع والانفعالات)، الرقم (١). دار المسلم للنشر والتوزيع. الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

محمد محي الدين عبد الحميد وآخران. دار
الكتب العلمية، بيروت، (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م).

٢٣. حسن أيوب. (د. ت.). السلوك الاجتماعي
في الإسلام. دار الندوة الجديدة، بيروت.

٢٤. عبد الرحمن بن رجب الحنبلي.
(١٣٩٣هـ). جامع العلوم والحكم، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط (٤)،
١٣٩٣هـ.

٢٥. علي الطنطاوي. تعريف موجز بدين
الإسلام، دار المنارة، جدة. ١٤١٢هـ.

٢٦. محمد عثمان نجاتي. الحديث النبوي وعلم
النفس، دار الشروق، القاهرة. ط (٥)،
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢٧. عفيف عبد الفتاح طيّارة. روح الدين
الإسلامي. دار العلم للملايين، بيروت، ط
(٣٠)، ١٩٩٥.

٢٨. عبد الباسط متولي خضر. فعالية الإرشاد
النفسي الديني والتدريب على المهارات
الاجتماعية والدمج بينهما في خفض حدة
الغضب لعينة من المراهقين. مجلة كلية
التربية. العدد ج (٣)، (٢٤). جامعة عين
شمس، كلية التربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٩. فؤاد البهي السيد. (د. ت.). الأسس النفسية
لنمو من الطفولة إلى الشيخوخة. دار الفكر
العربي. القاهرة.

٣٠. أحمد محمد عامر. أصول علم النفس
العام في ضوء الإسلام. دار الشروق، جدة،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣١. بدر عبد الرازق الماص. أخلاق المسلم
وآدابه، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤١٨هـ.

٣٢. محمد بن سالم البيحاني. إصلاح المجتمع.
دار القلم. بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٣. عبد الرحمن بن حسن حينكه الميداني.
الأخلاق الإسلامية وأسسها. ج ٢، ط ٢، دار
القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٤. أبو حاتم محمد بن حبان البستي. روضة
العُقلاء ونُزهة الفضلاء. شرح وتحقيق /